

أنطاكية موقع استراتيجي مهم. هي محطة القوافل الوافدة من بلاد العرب و بلاد ما بين النهرين. و نظراً إلى أهميتها أقام فيها محافظ المشرق الروماني. و هي المدينة الوثنية الأولى التي استقبلت تلاميذ المسيح نحو 42. و سرعان ما فاقت كنيسة أورشليم، خصوصاً بعد تدمير طيطس المدينة. فيها دُعي التلاميذ لأول مرةً المسيحيين لتمييزهم عن التلاميذ من أصل يهودي (رسل 11: 26). و برزت ملامحها في حضور بطرس و بولس و برنابا. و منها انطلق التلاميذ للتبشير في المدن الوثنية. و في أنطاكية نشأت أول مدرسة لاهوتية، بنهج لاهوتي اتسم بالواقعية. و أعطت المدينة التي بناها أنطيوخوس الكبير آباءً و لاهوتيين بارزين. و تمثلت فيها العالم الأرامي- السرياني المنفتح على العالم اليوناني. و فيها أقام البطريرك كرسيه.

الرُّها و تسمى اليوم أورفا- أديسا أو، كما يحب الأتراك أن يسموها، "أورفا المجيدة" "Urfa Sanli". تقع جنوب تركيا الحالية على ضفة نهر الفرات. يذكرها أوسابيوس القصري (264-340) الذي زارها و اكتشف فيها الرسائل المتبادلة بين ملكها أبجر و يسوع (الكتاب الأول، 13-5). كما زارتها الراهبة الأكويتانية إيجيريا (8) خلال الأعوام (381-384). كانت الرها مدينة حدودية و مركزاً حضارياً و علمياً. فيها نشطت الحركة الثقافية السريانية منذ القرن الثاني. و فيها، على الأرجح، تمت ترجمة العهد الجديد إلى السريانية. و قد يكون منها انطلقت المسيحية إلى بقية ما بين النهرين. فيها وُجدت منذ البداية مدرسة دينية بسيطة، و برز

وحدها لم يكن السريان مجرد نقلة، بل كانوا عنصر إبداع حقيقي. فقد أضافوا إلى ما نقلوه خبرتهم و معارفهم، و طوّروا و رفقوا العرب و المسلمين، و من خلالهم العالم، بكل نافع من العلوم. لقد كتب السريان في الإلهيات و الفقه و الفلسفة و المنطق و الطبيعة و ما وراء الطبيعة و الرياضيات و الفلكيات و الطبّ و الفيزياء و الهندسة و البناء و الموسيقى و الأدب و الهندسة الزراعية و التجارة. و كان لنشاطهم الاقتصادي و الثقافي و التجاري و الاجتماعي الأثر البالغ في الدولة الفارسية ثم العربية بعدئذ، خصوصاً في عصر العباسيين، فإذا خلفائهم يهتمون بالعلم و الثقافة و العلماء و المفكرين، فيرسلون الفرق لجمع الكتب و ترجمتها، و يغدقون المال و الهدايا كحافز تنافس بين الفرق من أجل إنتاج أوسع. لكن هذا التراث و هذه الحضارة لا تنفصلان البتة عما قام به الآخرون من سومريين و أكاديين و آشوريين و إغريق و فينيقيين. فهناك تداخل و تواصل جغرافي و بشري و لغوي بين كل هذه الشعوب، كما لا يمكن فصل عطاء السريان عن التاريخ الحضاري العربي و الإسلامي و العالمي اليوم.

المراكز الثقافية

أقام السريان مراكز علمية و حضارية للثقافة المسيحية السريانية و الإغريقية، ثم العربية: فغدت الأديار في كل من العراق و تركيا و سوريا و لبنان مدارس المعرفة المدنية و الدينية و محجة لمحبي العلم. و لا يزال بعضها شاهداً على هذه الحضارة و التواصل إلى اليوم. و نذكر أهمها: أنطاكية